الإعجاز المنطقي بطرق التعليم في القرآن الكريم

سنجار جاسم محمد خلف
كمال الدين سعدون جميل

ملخص البحث

يتحدث البحث عن المباحث المنطقية و طرق التعليم في القرآن الكريم، وقد ذكر الباحث طرق التعليم المنطقية ، و هي خمسة :الأول منها :طريق البرهان : وهو ما يتكون من مقدمات يقينية . الثاني : طريق الجدل : وهو ما يتكون من مقدمات مسلمة عند الجمهور، أو عند الخصم .الثالث : طريق الخطابة : وهو ما يتكون من مقدمات مشهورة. الرابع : طريق الشعر : وهو ما يتكون من مقدمات تخييلية.الخامس : طريق السفسطة : وهو ما يتكون من مقدمات مموهة. و ختم البحث بنتائج عدة منها، أن الجانب العقلي للقرآن الكريم هو الشطر المقابل للجانب اللغوي ، ويعد القسم المكمل للتدبر في ايات الله سبحانه. إن القرآن الكريم هو المقياس الذي يقوم القواعد المنطقية من أخطاءها. وبهذا ربط الباحث بين النص القرآني وبين علم المنطق .

The Logical Miraculousness of Teaching Methodology in the Holy Qur'an

Sinjar Jassem Mohammed Khalaf
Kamal Al - Din Saadoun Jamil

Abstract

The present paper tackles the methodology of teaching mentioned in the Holy Qur'an. The researchers mention the five logical methods which are: first; the proof method which comprises the fixed preliminaries. Second is the controversial method which comprises the admissible preliminaries. The third is the elocution method which comprises the assumptive preliminaries. Fourth is the poetic method which comprises the imaginative preliminaries. Fifth is the sophistry method which comprises the camouflage preliminaries. The paper reaches different findings: the main to be said is that the mental dimension of the Holy Qur'an totally corresponds with the linguistic dimension. It is the Holy Qur'an who measures and evaluates the logical rules. By this, the researcher links between the Qur'anic texts and logic.

الإعجاز المنطقي

بطرق التعليم في القرآن الكريم

م.د.سنجار جاسم محمد خلف

م.د.كمال الدين سعدون جميل

العراق

المقدمة

الحمد لله الذي وهب الانسان نعمة العقول ، فهداهم الى طرق الرشاد والقبول ، فطاروا بجناحي الفهم والادراك الى منازل الحكمة والمنقول ، فتنورت نفوسهم بمنطق التوحيد المشرق فماله من أفول ، فشهدوا بدلائل الوحدانية لله مولاهم في كل مفعول ومقول ، وصلاة الله وسلامه على العقل الأول والقلم الأعلى في كل صاعد ومنزول مولانا محمد خاتم كل نبي ورسول ، وعلى آله وآصحابه ما توالى القرآن يعجز الخلائق عن الإتيان بمثله إلى يوم البعث والمثول.

أما بعد؛ فقد خلق الله الانسان متميزا عن كثير من المخلوقات بالنطق ، والنطق علامة على وجود العقل الإنساني ودلالة عليه ، ومن ثم فطره على التفكير بتلك الموهبة ، وكرمه على كثير ممن خلق وفضله تفضيلا ، وكنتيجة محتمة لا بد من قانون يحمي هذا التفكير ، ويعصمه من الخطأ في إدراكه ، فنشأ علم المنطق ، ولما جاء القرآن الكريم معجزة دائمة تخاطب اولى العقول متحديا لهم عن مجاراته ، ومنبها لهم للتدبر فيه ، وكذلك هو معجزة مطلقة عن أنحصارها بوجه من الوجوه ، أخذ أهل العلم في كل فن يتلمسون هذه الوجوه الاعجازية ،ولم يصلوا الى النهاية ، وانما كل أنسان يأخذ حسب ما وصل إليه علمه وعقله ، وفي كل خير ، ومن جملة هذه الفنون فن المنطق.

لقد تنبه بعض العلماء لوجود اعجاز منطقي في القرآن ، وأول من تنبه لذلك هو الامام الغزالي ، واالامام ابن رشد ، والامام الراغب الاصفهاني ،ومن ثم الشيخ مصطفى الرافعي المصري من المعاصرين، فذكروا شذرات من هذا الاعجاز، لذلك

رغبت بإيضاح هذا النوع من الاعجاز ببحث مختصر حسب طاقتي ، لعلي أفتح الباب أمام الباحثين المعاصرين للتعمق في هذه المباحث ، وقد اقتصر البحث على طرق التعليم المنطقية ،فإن أصبت فمن الله التوفيق.

وقد قسمت الدراسة على ثلاثة مباحث :

تناولت في المبحث الأول : تعريف الاعجاز القراني ، وماهية المنطق ، وعلاقة المنطق بالاعجاز.

وفي المبحث الثاني بينت تأصيل الطرق المنطقية في القرآن الكريم .

أما المبحث الثالث : فأخذت تطبيق بعض الآيات من حيث هذه الطرق وبيان الأوجه الاعجازية فيها.

المبحث الأول

الاعجاز والمنطق والعلاقة بينهما

المطلب الأول : الاعجاز القرآني في اللغة والاصطلاح.

الاعجاز في اللغة : هو مصدر من الفعل (أعجز) ، يقال أعجزت فلانا وعجّزته جعتله عاجز .[1]

أما الاعجاز في الاصطلاح : فقد بين مفهومه الشيخ الرافعي بقوله ((وإنما الاعجاز شيئان : وهو ضعف القدرة الانساينة في محاولة المعجزة ،ومزاولته على شدة الانسان واتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت))[2].

إن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى والدائمة التي جاء به النبي ﷺ، ولما كان عموم المعجزة هو ظهورها على يد نبي بشرط التحدي ، فقد دلت الايات القرآنية على أن الله تعالى قد تحدى الكفار على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أولا ، ثم تحداهم أن يأتو بعشر سور منه ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، بل أن الله تعالى جزم بأنهم عاجزون عنك ذلك ، فقال تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ

(١) المفردات في غريب الحديث : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ ، مادة (عجز) ، ص٥٤٧.

(٢) اعجاز القران والبلاغة النبوية : تأليف محمد صادق الرافعي ، ط٩ (دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان - ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣) ، ص١٣٩.

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[1].

ثم تطورت العلوم والفهوم وتوسعها بدأت الدراسات تتوجه للقرآن من جميع الاتجاهات ،ومع بدءها أخذت مصاديق الاعجاز تظهر في تلك الدراسات ، حتى صار الناظر يعسر عليه عدها ، فمنها اللغوي والبلاغي والنحوي والصرفي والاجتماعي والأخلاقي والتشريعي والقانوني والاقتصادي والدعوي والاخباري والتاثيري والعلمي والمنطقي الى غير ذلك.

لذلك سيكون هذا البحث هو في بعض مباحث علم المنطق ، فالمنطق له قواعده واساسياته لا يستطيع الباحث تناوله في هذه العجالة ، لكن اقتصرت فقط على أنواع الطرق المنطقية في إقامة البراهين.

(١) سورة البقرة: ٢٣.

المطلب الثاني

ماهية المنطق، وحكمه

١-ماهية المنطق :

المنطق في اللغة : هو الكلام ، والرجل المنطيق هو البليغ ، وكلام كل شيء منطقه ،وقد يستعمل في غير الانسان ومنه قوله تعالى : (عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) [النمل: ١٦] .

أما المنطق في الاصطلاح : فقد عرف بأنه ((قانون تعصم مراعاته الفكر من غلطه))[١]، وعرف أيضا بأنه ((آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر))[٢] ، فالمنطق بحد ذاته ليس عاصما للذهن ، بل مراعاة هذا القانون هو الذي يعصم الذهن من الخطأ في التفكير ، وهو إطلاق مجازي.

ويُطْلَق على عِلْم المنطق تسميات عدة، منها: فن النظر، وميزان العقول، ومعيار العلم. فهو في الحقيقة مجموعة من القوانين العقلية التي إِنْ راعاها الإنسان في التفكير استطاع أن يصل إلى النتائج الصحيحة الخالية من الخطأ، وهو بهذا الاعتبار علم لا يُذم؛ فالعلوم لا تذم من حيث هي علوم، إنما تذم باعتبار استعمالاتها واستخداماتها، وليست كل قواعد وقوانين المنطق بديهية، بل منها ما هو ضروري لا يحتاج إلى نظر وتأمل، ومنها ما هو نظري يحتاج إلى تأمل وتنبيه.

---

(١) المختصر في علم المنطق ، تاليف : محمد بن محمد بن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع] ، ص١ .

(٢) شرح الخبيصي على تهذيب المنطق ، (طبعة مكتبة الاسكندية) ، ص٨.

وعلى الجملة فماهية علم المنطق يتناول أولا حدود الموجودات والاشياء للوصول إلى إدراكها ، وهو ما يطلق عليه التصور ، وهذا الحد إما أن يكون حقيقيا أو رسما أو لفظا ، والثاني من علم المنطق يتناول الاقيسة وانواعها للوصول الى التصديق ، وهذه الاقيسة تعتمد تعتمد على مقدمات وهي أنواع ، فالقياس الذي مقدماته يقينية هو البرهان خاصة ، والذي مقدماته مسلمة فهو الجدلي ، وإن كانت مقدماته مشهورة فهو الخطابي ، وإن كانت مقدماته مخيلة فهو الشعري ، وإن كانت مقدماته موهة فهو السوسطائي .[1]

يقول ابن رشد:((وكان التعليم صنفين: تصوراً وتصديقاً، كما بيق ذلك اهل العلم بالكلام، وكانت طرق التصديق، الموجودة للناس ثلاثاً: البرهانية، والجدلية، والخطابية)).[2]

٢-حكم الاشتغال بعلم المنطق شرعا:

أما حكم المنطق في الشريعة فالتَّحْقيق أن ما نقل من ذم تعلم المنطق والتحذير منه، إنَّمَا هو خاص بالمنطق المختلط بكلام الفلاسفة الباطل، يقول القويسني ((واعلم أن المنطق قسمان: قسم خال عن شبه الفلاسفة كهذا الكتاب و ((مختصر الإمام السنوسي))، ((وتأليف الكاتبي)) فهذا لا خلاف في جوازه، ولا يصد عنه إلا من لا معقول له بل هو فرض كفاية لأن القدرة على رد شبه الفلاسفة لا تحصل إلا به، وردها فرض كفاية، وما يتوقف عليه الواجب واجبٌ. القسم الثاني: مختلط بشبه الفلاسفة، وهذا هو الذي جرى

(١) ينظر: الرد على المنطقيين المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٤-٥.

(٢) فصل المقال : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف ،الطبعة: الثانية (ص: ٥٥)

في الاشتغال به خلاف)).[1]

فالمنطق المختلط بكلام الفلاسفة قد وقع فيه الخلاف على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو التحريم، وهو اختيار الإمام ابن الصلاح، والنووي، وابن تيمية، وحكاه السيوطي عن كثير من العلماء.[2]

القول الثاني: أنه ينبغي أن يُعلم، وهو رأي الإمام الغزالي وعدد من المتأخرين بعده؛ كالآمدي، والبيضاوي، وابن الحاجب، وعدد من أئمة الإسلام، فقد قال الغزالي ((وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة به، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومَن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلًا ، فمن شاء أن لا يكتب هذه المقدمة فليبدأ بالكتاب من القطب الأول فإن ذلك هو أول أصول الفقه وحاجة جميع العلوم النظرية إلى هذه المقدمة لحاجة أصول الفقه.))[3].

القول الثالث: وفيه التفصيل، فيجوز تعلمه لكامل القريحة المزاول والممارس للسنة والكتاب بحيث يعرف العقائد الحقَّة من الباطلة، أما من لم تكمل قريحته ولم يمارس الكتاب والسنة فلا يجوز له الاشتغال به.[4]

إن الناظر لعلم المنطق يجده لا يخرج عن التصور والتصديق ، وطرق التصديق هي المعنية في بحثنا بدون أن نخوض في تفاصيلها الدقيقة لعدم الحاجة له.

---

(١) ينظر: شرح القويسني على السلم المنورق للأخضري (٢/ ٢٠، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) ينظر: الحاوي للفتاوي : جلال الدين ، عبد الرحمن السيوطي ، ط. دار الفكر ، (١/ ٣٠٠،).

(٣) «المستصفى : أبو حا \مد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، (١٠، ط. دار الكتب العلمية):

(٤) ينظر: شرح القويسني على السلم المنورق للأخضري (٢/ ٢٠، بترقيم الشاملة آليا).

المطلب الثالث: علاقة الاعجاز بالمنطق

إن القران الكريم هو المعجزة الكبرى ، وهذه المعجزة مطلقة غير منحصرة بوجه من الوجوه ، وقد جاء مخاطبا للعقول ، فالنتيجة الحتمية له هو إعجاز العقول عن إدراك تصوراته وتصديقاته ، وقد فطن بعض العلماء لهذا الوجه من أنواع الاعجاز، وأول من تنبه لهذا هو الامام الغزالي والامام ابن رشد القرطبي ، والراغب الاصفهاني ، وقد جاء في كتبهم الإشارة له ، فلم تفرد له مؤلفات ، وكذلك الحال عند المعاصرين ، فلم تأخذ الدراسات الحديثة هذا الوجه من الاعجاز بالدراسات المستفيضة.

وأول تلك الإشارات لهذا الاعجاز قول الاصفهاني في مقدمة تفسيره : ((ما من برهان ولا دلالة وتقسيم وتحديد « ينبئ « عن كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب، دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين)).[1]

وقد تنبه الراغب لأمر عند إيراده هذا الكلام أنه ربما ينكر منكر أن القران الكريم لم يذكر الالفاظ والمصطلحات المنطقية كالمقدمات وما شاكلها ، لذلك ذكر أن سبب ذلك يعود لأمرين :

الأول : أن الله تعالى ما أرسل رسول إلا بلسان قومه ، وهذه الالفاظ ليست من لسان العرب ومصطلحاتهم قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ).

الثاني: إن استخدام الالفاظ الدقيقة للمحاجة هي سمة العاجز عن إقامة الحجة بالواضح الظاهر من الكلام.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (١/ ٢٧).

وإن المتعارف فيه عند الحكماء أن الذي يستطيع أن يفهم الأكثرين لم ينزل الى كلام يعرفه الأقلون ما يريد أن يجعل كلامه لغزا. لذلك أخرج الله تعالى خطابه في إقامة الحجة على خلقه في أوضح وأجمل صورة مشتملة على أوضح البراهين وأدقها لتفهم العامة من واضحها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الحكماء.[1]

أما الامام ابن رشد فبين تلك العلاقة بين المنطق والاعجاز، فقد أوضح أن الناس من حيث طرق التعليم التي ذكرتها في المطلب السابق على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول :ليس من أهل التأويل ، وهم الخطابيون وهولاء الجمهور الغالب.

الصنف الثاني : أهل التأويل الجدلي ، وهم الجدليون بالطبع ، أو بالطبع والعادة.

الصنف الثالث : أهل التأويل اليقيني ،وهم البرهانيون بالطبع وصناعة الحكمة والمنطق.[2]

وقد نفى ابن رشد أن يكون في طرق التعلم مثيلا لتلك الطرق في القران الكريم ، فهذه الطرق الثلاثة جميعها موجودة فيه ، ولا يوجد أفضل منها ، وجهة اعجازها في القران العظيم يرجع لثلاث خصائص :

الخاصية الاعجازية الأولى : أنه لا يوجد في مذاهب الكلام أتم إقناعا وتصديقا للجميع منها.

الخاصية الاعجازية الثانية : أنها تقبل التصرف بطبعها إلى أن تنتهي إلى حد لا يقف التأويل فيها إن كانت مما فيه تأويل لأهل البرهان.

---

(١) ينظر : المصدر السابق نفسه.

(٢) ينظر: فصل المقال : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ، الناشر: دار المعارف ، الطبعة: الثانية، ص٥٨.

الخاصية الاعجازية الثالثة : أنها تتضمن التنبية لأهل الحق على التأويل الحق .[1]

وفي هذا الخواص الاعجازية يقول الرافعي ((قلنا وليس في المنطق أعجب من أن يكون الكلام مبسوطا للجميع ، ثم هو في نفسه مما يهدي الخاصة إلى تأويله ، ثم لايكون في طبيعته الكلامية مع تصرفه إلا أن ينتهي إلى مقطع الحق من هذا التأويل دون أن يتعداه ، وقد لا يظهر التأويل الحق إلا بعد أزمان متطاولة ينضج فيها العقل الإنساني وتستجم أثاره وادواته))[2].

أما الامام الغزالي فقد توجه لبناء منطق للعقل الإنساني ، ليس هو منطق أرسطو وإنما هو منطق استفاده من القران الكريم ، وقد أرسى دعائمه موازيا للمنطق الارسطوي ، وهو ما بناه في كتابه القسطاس المستقيم ، فاستخرج خمسة موازين من القرآن الكريم أذكرها باختصار على النحو الآتي:

الميزان الأول : ميزان التعادل ، وهذا الميزان يتضمن ثلاثة أنواع :-

أ-الميزان الاكبر للتعادل : وأصل هذا الميزان قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

صورة هذا الميزان : إن ربي مطلع الشمس ، المطلع إله ، والنتيجة : إن ربي إله .[3]

وحد هذا الميزان : أن الحكم على الاعم حكم على الأخص ويندرج فيه .[4]

---

(١) ينظر: المصدر السابق ، ص٥٦.

(٢) إعجاز القران والسنة النبوية ، لشيخ مصطفى الرافعي ، ص٢٦٦.

(٣) القسطاس المستقيم للغزالي ، ص١٩.

(٤) المصدر السابق ، ص٢٩.

ب-الميزان الأوسط للتعادل : وأصل هذا الميزان قوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) [الأنعام: ٧٦]

صورة هذا الميزان : أن القمر آفل ، والآله ليس بآفل ،والنتيجة: أن القمر ليس بإله.

وحد هذا الميزان : أن كل شيئين وصف أحدهما بوصف فسلب ذلك الوصف عن الآخر فهما متباينان.(١)

ج-الميزان الأصغر للتعادل : وأصل هذا الميزان قوله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) [الأنعام: ٩١]

وصورة هذا الميزان : أن موسى بشر وهذا معلوم بالحس ، وان موسى منزل عليه الكتاب وهذا معلوم باعترافهم ، وهاتان المقدمتان مسلمتان عندهم ، والنتيجة : يلزم منه أنه لا مانع من إنزال الكتاب على غيره من البشر.

وحد هذا الميزان : أن كل وصفين اجتمعا على شيء واحد، فبعض الوصفين لا بد أن يوصف بالاخر ضرورة ، ولا يلزم أن يوصف به كله لزوما ضروريا.(٢)

وقد بين الامام الغزالي أن موازين التعادل الثلاثة ، يقاس بها على ما يأتي :(٣)

الميزان الأكبر : يعرف به الاثبات العام والاثبات الخاص ، والنفي العام والنفي الخاص.

الميزان الأوسط : يعرف به النفي العام والنفي الخاص.

---

(١) المصدر السابق ص٢٨-٢٩.

(٢) المصدر السابق ص٣٢-٣٣-٣٤.

(٣) المصدر السابق ، ص٣٤.

الميزان الأصغر: يعرف به النفي الخاص فقط.

الميزان الثاني : ميزان التلازم (القياس الشرطي المتصل).

والاصل في هذا الميزان قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء: ٢٢] ، وقوله تعالى : (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) [الإسراء: ٤٢] ، وقوله تعالى : (لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) [الأنبياء: ٩٩].

وصورة هذا الميزان : لو كان للعالم إلهان لفسد ، ومعلوم أنه لم يفسد ، والنتيجة : أنه لا يوجد إلهين.

وحد هذا الميزان : أن كل ما هو لازم لشيء تابع له في كل حال ، فنفي اللازم يوجب بالضرورة نفي الملزوم ، ووجود الملزوم يوجب بالضرورة وجود اللازم ، ولا نتيجة لنفي الملزوم ووجود اللازم.[1]

الميزان الثالث : ميزان التعاند (القياس الشرطي المنفصل)

وأصل هذا الميزان قوله تعالى : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سبأ: ٢٤]

وصورة هذا الميزان : أن قوله (وانا أو إياكم في ضلال مبين)، ومعلوم أنا لسنا في ضلال ، والنتيجة :فيلزم منه ضرورة أنكم في ضلال مبين .

وحد هذا الميزان : أن كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت أحدهما نفي الآخر ، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر، بشرط انحصار القسمة ، لا انتشارها.[2]

---

(١) المصدر السابق ،ص٣٦ و ص٣٨.

(٢) المصدر السابق ، ص٣٩ و ص٤٠.

لا شك أن محاولة الامام الغزالي في استنباط أشكال القياس المنطقي من القرآن الكريم يعطينا أعظم دلالة على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وأنه مفتاح لكل العلوم، ومقياسا لكل الفهوم، بل أن القرآن بإعجازه هو المصحح للعلوم العقلية والمنطقية.

المبحث الثاني: التأصيل القرآني لطرق التعليم المنطقية

إن المباحث المنطقية ومصطلحاتها كثيرة ، ولايهمنا في هذا البحث إلا الطرق المنطقية ، وكما تقدم بيانها عند الامام ابن رشد والامام الغزالي ، والتي تلخصت على خمسة طرق وهي على ما يأتي :

الأول : طريق البرهان : وهو ما يتكون من مقدمات يقينية .

الثاني : طريق الجدل : وهو ما يتكون من مقدمات مسلمة عند الجمهور، أو عند الخصم .

الثالث : طريق الخطابة : وهو ما يتكون من مقدمات مشهورة.

الرابع : طريق الشعر : وهو ما يتكون من مقدمات تخييلية.

الخامس : طريق السفسطة : وهو ما يتكون من مقدمات موهة.[1]

إن الطرق المنطقية الثلاثة الأولى هي المعتبرة عند المناطقة ، فتأصيلها في القرآن جاء في تفسير الرازي أن قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥].

لقد ربط الامام الرازي هذه الطرق الثلاث بالاية ، وفصلها بثلاثة أقسام ، كما يأتي :

القسم الأول : الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية ، وهو ما يطلق عليه الحكمة ، وهو المقصودة بقوله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [البقرة: ٢٦٩]

القسم الثاني : الامارات الظنية والدلائل الاقناعية ، وهي الموعظة الحسنة.

(١) ينظر: الرد على المنطقيين ، صص٤-٥.

القسم الثالث : الدلائل التي يكون المقصود منها إلزام الخصم وافحامه ويعتمد على المقدمات المسلمة عند الجمهور أو عند الخصم ، فهذا الطريق هو المقصود بالجدل بالاحسن .[1]

فالقرآن الكريم اعتبر الطرق الثلاثة الأولى التي هي الأساس عند المناطقة ، فما أجمل هذا الوجه الاعجازي الذي لم يكتف بذكرها وانما رتبها ترتيبا منطقيا.

وقد اتضح عندي وجه إعجازي من خلال هذا البحث ، وهو أن الطريق الرابع وهو طريق الشعر والخامس وهو طريق السفسطة ، وهما لم يعتبرهما المناطقة من طرق اثبات الحق أو تعليم الحق ، بالمقابل وجدت القرآن العظيم لا يعتبرهما ولا يعدهما من الطرق الصحيحة ، بل أنه جاء بذمهما .

فطريق السفسطة هو برهان مبني على مقدمات مموهة ، وهذا التمويه يظهر بقوله تعالى : (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٤٢].

وقوله تعالى : (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا) [الكهف: ٥٦].

فإن الذي يلبس الحق بالباطل هو اظهاره بصورة مموهة للناس ، أي يغطي الباطل بثوب الحق ، وهو نفسه السفسطة، وكذلك أن المجادلة بالباطل قد ذمها الله تعالى، لأن هولاء لم يجادلوا لإظهار الحق ، والاهتداء به ، وانما كان قصدهم الاستهزاء والمكابرة والعناد ، والباطل هو الشيء الذي لا حقيقة له .

(١) ينظر: تفسير الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ ه ، ٢٠ / ٢٨٧.

قال الكتاني في تفسير الآية : ((فيجادل هولاء وينازعون ويعترضون بلا حجة أو سلطان أو برهان أو دليل من عقل أو منطق فضلا عن أن يكون حجة من الله ،أو من رسله السابقين.....فلا يريدون الا الجدال ، ولا جدال في هذه الأشياء إلا بالباطل ظنا منهم أن هذا الباطل سيدحضون به الحق))[1].

أما الطريق الخامس وهو طريق الشعر ، الذي بني على المقدمات التخييلية ، فلا يتضح به الحق ، لذلك لم يعد عند المناطقة من الدلائل المعتبرة بإطلاق ، لكن القرآن الكريم حكم في الغالب عليه أنه لا يعد طريقا من طرق الحق ، بل استثنى منه أن يكون قائله من أهل التقوى والذكر الكثير والمنتصر بشعره على من اعتدى عليه بهجاء، فقال تعالى: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧].

وذكر الماوردي أن قوله تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) فيه ثلاثة أقوال :

الأول : أنهم في كل فن يأخذون .

الثاني : في كل لغو يخضون.

والثالث : أن يمدح قوما بباطل ، والهائم هو الذي يخالف في القصد ، او من يجاوز الحد.[2]

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني تفسير القرآن الكريم: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: ١٤١٩هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. (١١/ ٢، بترقيم الشاملة آليا).

http://www.islamweb.net .

(٢) ينظر: تفسير الماوردي : تأليف علي بن محمد البصري البغدادي الماوردي ، (دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان)، تحقيق :السيد عبد المقصود ،ج٤، ص١٩٠.

وأما قوله تعالى :(وأنهم يقولون ما لا يفعلون)، هو ما يذكرونه من كذب بشعرهم ، كأن يمدح أحدا أو يذمه ، أو يشبه شيئا ، أو يشبب بأحد .[1]

وما هذا الا مجانبة طريق الحق ، لكن الوجه الاعجازي أن القرآن لم يحكم باطلاق بعدم اعتبار الشعر طريق للحق ، لذلك ورد عن النبي ﷺ((إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما))[2].

وهذا هو الدليل الواضح على الاعجاز المنطقي في القرآن، فالقرآن لم يأتي مخالفا للعقل حتى بطرق التفكير والتعليم ومن حيث اعتبار الأدلة ، ووجوه التخاطب، ولو غاص الباحثون في منطقية القرآن الكريم لجاءوا بالعجب العجاب ، لأنه جاء من حكيم عليم ، وفي نفس الوقت لا يناقض العقل.

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٢) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق:محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبةالعصرية، صيدا - بيروت (٤/ ٣٠٣) رقم الحديث (٥٠١١).

المبحث الثالث: تطبيقات الاعجاز المنطقي في القرآن الكريم من حيث الطرق المنطقية

المطلب الأول: الحكمة وهي الدلائل البرهانية

لقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم ، أكدت هذا الأسلوب العقلي ، وهي البراهين القطعية ، والأدلة اليقينية العقلية ، وهي المقصود بالحكمة .

فالحكمة في اللغة : هي مصدر (حكم) ، فمن معانيها أنها الإصابة والاتقان ، ومنها العلم والفقه ، ووضع الشيء موضعه ، وصواب الأمر وسداده.(١)

فمن معاني الحكمة في القرآن الكريم أنها المقالة المحكمة الصحيحة ، وهي الدليل الذي يوضح الحق ، ويزيل شبهه.(٢)

فمن هذه الآيات :

١-قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء: ٢٢].

وجه الدلالة :

أنه لو كان للعالم مدبران ، فإن اختلفت ارادتهما كأن يريد أحدهما أن يحرك العالم ، ويريد الاخر أن يجعله ساكنا ، فمحال اتفاقهما ، لأنه جمع بين النقيضين ، أو لا يحصل مرادهما وهذا محال أيضا ، لأنه يستلزم عجزهما ، وإن حصل مراد أحدهما كان الذي حصل مراده هو القادر والأخر هو العاجز.(٣)

---

(١) لسان العرب لابن منظور : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ مادة(حكم)، ٢/ ١٤٠

(٢) ينظر : تفسير الرازي: ٢/ ١٣٠

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية

لقد أخذ الامام الغزالي من هذه الآية ميزان التلازم ، وهو القياس الشرطي المتصل عند المناطقة ، وتحقيق هذا القياس : أنه لو كان للعالم إلهان لفسد ، ومعلوم أنه لم يفسد ، فيلزم ضرورة نفي الالهين.[1]

٢-قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون: ٩١].

وجه الدلالة :

أنه لو كان معه إله لانفرد كل منهما بخلقه وملكه ، ثم غلب أحدهما على الاخر ، كملوك الدنيا يتغالبون ، ولما لم يكن هذا الانفراد والتغالب ، دل على أنه إله واحد يملك كل شيء ، وبيده ملكوت كل شيء ، وهوعلى كل شيء قدير.[2]

٣-قوله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة: ١٦٤].

وجه الدلالة :

ذكر الشنقيطي أن في هذه الآيات الكريمة ستة براهين من دلائل التوحيد ، التي دلت على عظمته وجلاله وكمال قدرته ، وأنه المستحق للعبادة وحده :

الأول :خلقه السموات والأرض .

الثاني : خلقه الناس.

- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ١١/ ٢٧٩.

(١) ينظر: القسطاس المستقيم للغزالي ، ص٣٦.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ، ٢٣/ ٢٩١.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع : اختلاف الليل والنهار.

الخامس : انزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس : تصريف الرياح.

وهذه الدلائل الستة ثبت بالحس أن الانسان عاجز عنها، بل خلقها ودبرها صانع حكيم.[1]

٤-قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) [الواقعة: ٦٣ - ٧٠].

وجه الدلالة :

استدل الامام الرازي بهذه الاية على المعاد ، وهو أصل من أصول الايمان ، وملخص استدلاله : أن الحبوب بكل أنواعه إذا وقع في الأرض الرطبة ، فالعقل يقتضي فسادها ، أما بالتراب أو بالماء ، أو بهما جميعا، فلما لم يفسد وانفلقت تلك الحبة باتجاهين متعاكسين مع اتحاد عنصرهما ، واتحاد طبع النواة والماء والهواء والتربة ،أفلا يدل ذلك على قدرة الله الكاملة ، وحكمته العظيمة الشاملة ، فكيف يعجز عن جمع الأجزاء الجسمانية ، وتركيب أعضائها بإعادتها.[2]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ، ٧/ ١٧٩.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ، ٢/ ٣٥٤.

المطلب الثاني: الموعظة الحسنة وهي الدلائل الخطابية

الموعظة في اللغة هي مصدر الفعل (وعظ) ، ومن معانيها التخويف ،والزجر والتذكير بالخير ، وما يرق له القلب ويلينه .[1]

وقد ورد لهذا الطريق الكثير من المناهج كالترغيب والترهيب وضرب الامثال ، وإيراد القصص ، أو الاستفهام ، والتذكير باحوال الصالحين.

فمن هذه الآيات التي جاءت بمنهج الاستفهام :

١-قوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الطور: ٣٥ - ٤٣].

وجه الدلالة :

أن هذه الحجج في الآية هي استدلال بالمسلملت التي من الترهيب ، اتناولها على ما يأتي :

أ-قوله تعالى:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) ، أن حال المشركين لا يخلو من الحالات الاتية: إما أن يكونوا قد خلقوا أنفسهم ، أو خلقوا من غير خالق ، أو خلقهم خالق ، فالحالة الأولى والثانية مسلم أنهما ممتنعتان ، فبقي الحالة الثالثة وهي أنهم قد

(١) ينظر: الصحاح للجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ٣/ ١١٨١.

خلقهم خالق وهو الله جل وعلا.[1]

ب-قوله تعالى: (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ)، مسلمة مبنية على ما سبق ، وهو إن كانوا لم يخلقوا أنفسهم ، فكيف يستطيعون خلق غيرهم ، فدل أنهم لم يخلقوا السموات والأرض فهو محال، وعلى فرض أنهم خلقوا أنفسهم ، فلا يستطيعون أن يخلقوا السموات والأرض ، لأنهما أعظم خلقا من الانسان فيحتاجون قدرة عظيمة لخلقهما ، وهو محال أيضا، قال في صفوة التفاسير((وإنما خصَّ السمواتِ والأرض بالذكر من بين سائر المخلوقات لعظمها وشرفها، ثم بيَّن تعالى السبب في إنكارهم لوحدانية اله فقال (بَل لاَّ يُوقِنُونَ) أي بل لا يصدقون ولا يؤمنون بوحدانية الله وقدرته على البعث ولذلك ينكرون الخالق))[2].

ج-قوله تعالى: (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ)، يدل على أن الذي لا يستطيع أن يخلق السموات والأرض لا يستطيع أن يسيطر على خزائن الرزق ، لأن المطر ينزل من السماء والتراب من الأرض وهما سببان للرزق من نبات واشجار ومعادن،هل الأموال الا ذلك.(أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ)، وربما يتخيلون أنهم يملكون الأموال ، فهل يستطيعون أن يسيطرو بأموالهم على السموات والأرض.

وفي هذا يقول الشيخ طنطاوي: ((أعند هؤلاء الغافلين خَزائِنُ رَبِّكَ ومفاتيح أرزاقه- تعالى- لعباده، ومقدراته لهم، حتى يقسموها عليهم كما شاءوا، أم هم المصيطرون على

(١) ينظر: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة
الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ، ٢/ ٣٥٠.

(٢) صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، (٣/ ٢٤٩).

أحوال هذا الكون، المتسلطون على مقدراته، حتى لكأنهم أربابه المتغلبون عليه؟.كلا لا شيء لهم من ذلك إطلاقا، وإنما هم وغيرهم فقراء إلى رزق الله))[1].

د-قوله تعالى:(أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)، فإذا لم يستطيعوا خلق السموات والأرض ولا السيطرة على خزائنهما فأقل تقدير أن يكون لهم سلم بصعدون في الى السماء إن كان ما يعبدونه من دون الله حقا، فهذا أيضا عاجزون عنه ، وعلى فرض أنهم ادعوا كذبا أن لهم سلما وصعدوا به للسماء ، فليأت مستمعهم بحجة تدل على أن صادقين بما يدعونه من اشراك بعبادة الله .وهذا دليل عجزهم.[2]

ه-قوله تعالى : (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ)، فالذي لا يستطيع أن يخلق نفسه ولا غيره لا يستطيع أيضا أن يختار نوع الخلق ، فجعلهم لله البنات ولهم البنون هو محض افتراء، بل أنهم عاجزون ان اختيار خلقهم انفسهم من حيث خلقهم ذكور أو إناث ، فكيف تنسبون لله البنات وانتم بهذا العجز، وهذا دليل كذبهم وافتراءهم.[3]

و-قوله تعالى : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ)،دل على أن العاجز الذي لا يملك خزائن الرزق أو السيطرة على تقسيمه يثقل عليه أن يقرض غيره، أو يتحمل الدين عن غيره ، فكيف لو طلبت منهم أجرا على دعوتهم للايمان وهم مدينون تجدهم أشد نفورا منك.[4]

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة
الطبعة: الأولى، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٤٩).
(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه.
(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه.
(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه .

ز-قوله تعالى : (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) وهذا أيضا دليل ضعفهم وعجزهم فهم لا يعلمون الغيب ولا يعرفون ما يحدث لهم غدا ، فالذي يعلم الغيب لم يمسه الشر ، ولاستكثر من الخير ، فلما كانت أحوالهم فيها خير وفيها شر ولم يعلموا متى يحدث لهم الخير أو الشر ، دل على انهم عاجزون عن دفع الشر عن أنفسهم ، وعاجزون عن جلب الخير لهم.[1]

ح-قوله تعالى : (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) فيدل إن ما تقدم من إظهار لضعفهم وعجزهم بأفعال وصفات لا تكون إلا لمن خلق الكون وبيده كل شيء وهو الحق سبحانه وتعالى ، بين الله تعالى قصدهم بهذا العناد عن قبول الايمان وترك ما كانوا يعبدون من دون الله سبحانه ، أنهم ربما يبغضونك ويحسدونك ويريدون بك كيدا، فإن كيدكم هذا سنرده عليكم وهذا تهديد منه سبحانه ، وإلا لماذا هذا العناد بعدم قبولكم للحق والدليل اليقيني الذي حاججكم الله به.[2]

ط-قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) دل على أن الله تعالى لما بين لهم أفعاله وعظمته وملكه وأنه هو الذي أعطاهم وخلقهم ورزقهم،فاعترفوا أن الخالق هو الله والرازق هو الله ، ، فإقام الحجة العقلية عليهم كيف تتركون عبادة الاله الذي صنع لكم كل ما ذكره وتعبدون الاصنام التي سميتموها بأسماء البنات ونسبتوها لله وهي لا تضرهم ولا تنفعهم ولا تسمعهم،فالذي يصنع ذلك لا عقل له.[3]
فلو تأملنا هذه الايات لوجدنا أن الله تعالى قد أعجز العقول عن رد الحجج التي خاطب بها الكفار والمشركين ، فلم يستطع أحد أن يناقش فيها ، او يجادل فيها ، والتي دلت على

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه.
(٢) ينظر: المصدر السابق ، (١٤/ ٥٠).
(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه.

وحدانية الله تعالى، وفي هذا يقول ((وهذا الآيات وغيرها تجعل الإنسان يقف على حقيقة وجوده ووجود من حوله. ووجود هذا الكون كله وما فيه. توقفه على مصدر التديُّن ومستحق العبودية. وتشبع فطرته عن كل تساؤلاته حول هذه الحياة وما بعدها في العالم الآخر. وتثير في فطرته ما كان كامنًا في التوجه إلى خالق هذه الحياة. وإلى الرغبة الكامنة في الالتجاء إليه. والخضوع والعبادة له، وهذه الفطرة هي التي يشعر الإنسان بواسطتها عظمة الله. والرغبة في الخضوع له))[1].

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها : د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (٢/ ١١٤٠).

المطلب الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن وهي الدلائل الجدلية

لقد دلت آيات كثيرة على هذا الطريق فمن ذلك :

١-إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيض دعواه عن طريق إثبات أمر جزئي.

كقوله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) [الأنعام: ٩١].

وجه الدلالة :

استدل الامام الغزالي بهذه الاية على ميزان التعادل الأصغر، وصورة هذا الميزان : أن موسى بشر وهذا معلوم بالحس ، وان موسى منزل عليه الكتاب وهذا معلوم باعترافهم ، وهاتان المقدمتان مسلمتان عندهم ، والنتيجة : يلزم منه أنه لا مانع من إنزال الكتاب على غيره من البشر.

وحد هذا الميزان : أن كل وصفين اجتمعا على شيء واحد، فبعض الوصفين لا بد أن يوصف بالاخر ضرورة ، ولا يلزم أن يوصف به كله لزوما ضروريا.

وقال الشنقيطي : ((تقرر في فنون المناظرة: أن (السالبة الكلية) إنما تنقضها (موجبة جزئية). فالخصم إذا أراد نقض كلام خصمه؛ إذا كان مبنى كلام خصمه على (سالبة كلية)؛ إنما ينقضها بـ(موجبة جزئية)، كما هو معروف. قالوا: ولذا قال الله: (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أنت قلت: (ما أنزل الله على بشر من شيء) من هو الذي أنزل الكتاب الذي هو التوراة على موسى؟! فهذا في قوة: موسى بشر، وأنتم يا يهود تسلمون بشرية موسى، موسى أنزل عليه الكتاب، وهو التوراة، فأنتم تسلمون بشريته،

ونزول الكتاب عليه. ينتج: بعض البشر - وهو موسى - أنزل عليه الكتاب)).[1]

٢-إبطال دعوى الخصم بموافقته في مقدمة دعواه ثم إلزامه بها .

كقوله تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)) [إبراهيم: ٨ - ١٠].

وجه الدلالة :

إن قول الكفار للانبياء: (إن أنتم إلا بشر مثلنا)، فهذا القول سلم به الأنبياء ، لكن التسليم بذلك لا يمنع أن يختص الله بعض البشر بالنبوة، لأن المنصب هو رحمة ، والله تعالى يختص برحمته من يشاء، فهذه الشبهة ساقطة .[2]

٣-إبطال دعوى الخصم بإثبات الأمر بإبطال نقيضه.

كقوله تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].

وجه الدلالة:

دلت الآية على أن بتدبر القرآن يعرف إعجازه من موافقته للعلوم واشتماله على فوائد منها. وكمال حججه وبلاغته العليا. وموافقة أحكامه للحكمة، وأخباره عن الأنبياء وكتبهم ، وبعض شرائعهم، والأمور المستقبلة للواقع.[3]

أن المراد منه أن القرآن كتاب كبير، وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم، فلو كان

(١) ينظر: أن العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٤٩٩).

(٢) تفسير الرازي (١٩/ ٧٤).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسم(المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٣/ ٢٣٤).

ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة، لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك، ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله.[1]

٤-إبطال دعوى الخصم عن طريق مجاراته والتنزل معه غاية التنزل لإثبات الامر بطريق الأولى ، كقوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) [الزخرف: ٨١].

وجه الدلالة:

ذكر الامام الرازي أنه على فرض أن يقوم دليل على ثبوت ولد لله فإني كنت مقرا به معترفا بوجوب خدمته ، لكن ذلك الافتراض مستحيل قطعا ،فقد تنزل الى مجاراة من ادعى أن لله تعالى ولد ، وسلم بذلك فرضا ، لكنه ممتنع عقلا .[2]

أقول : فالذي يدل على أن وجود ولد لله تعالى مستحيل عقلا ، أن الولد هو استدامة لوجود الانسان، ولما كان الله تعالى هو دائم الوجود وواجبه ، فلا يحتاج للولد.

٥-إبطال دعوى الخصم باثبات أن الواقع يكذبه،كقوله تعالى : (يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ٦٥ - ٦٨].

وجه الدلالة :

أن الله تعالى أنكر على أهل الكتاب محاججتهم في إبراهيم، بادعاء كل طائفة منهم أنه كان على دينه، ، فالتوراة نزلت بعد إبراهيم بألف سنة ، والانجيل بعد إبراهيم بألفي سنة

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٠/ ١٥٢)

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٧/ ٦٤٦).

،وهذا الادعاء محال،لا يقول به عاقل ، لأن الواقع يكذبهم ، ولقد عاب الله تعالى على من يجادل بغير علم ، حتى أن إبراهيم لم يذكر في كتبهم، ولم يعلم من دينه شيئا ، بل كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائفة، ومسلما منقادا لأحكام ربه، واولى الناس به والذين هم على منهجه هم ذرية إسماعيل ، حتى أنه لم يبعث فيهم نبي رسول ، فلم يتغير دينه عند العرب من قريش ، فلما اختلطت الحنفية الابراهيمية في قريش بالشرك والاصنام ، بعث الله رسوله ﷺ مجددا لملة إبراهيم.[1]

ومن الاعجاز الإلهي أن إثبات الاحتجاج بالتاريخ وأن الحاجة تدعو إليه، وفي هذه الاية نقض الله تعالى دعوى أهل الكتاب أن إبراهيم كان يهوديا أو كان نصرانيا وذلك بأن التوراة والإنجيل لم ينزلهما إلا بعد وفاة إبراهيم عليه السلام ، فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً.[2]

(١) ينظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ (١/ ٣٦٦).

(٢) ينظر : أيسر التفاسير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م (١/ ٣٢٨).

المطلب الرابع: الجدل المذموم وهو الاقاويل السوفسطائية .

١-مجادلة ابليس :

قوله تعالى : ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)) الأعراف: ١٢، ١٣].

دلت هذه الآية على أن التكبر على الله يوجب العقاب الشديد والإخراج من زمرة الأولياء والإدخال في زمرة الملعونين ثبت أن تخصيص النص بالقياس لا يجوز وهذا هو المراد مما نقله الواحدي في «البسيط» عن ابن عباس أنه قال:

كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس فعصى ربه وقاس وأول من قاس إبليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس. هذا جملة الألفاظ التي نقلها الواحدي في «البسيط» عن ابن عباس.[1]

المناظرة بالقياس الفاسد:

وهو قوله: أنا خير منه بأن قال: خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أفضل من الطين والمخلوق من الأفضل أفضل فوجب كون إبليس خيرا من آدم.

هذه الشبهة مركبة من مقدمات ثلاثة:

أولها: إن النار أفضل من الطين والمخلوق من الأفضل أفضل فوجب كون إبليس خيرا من آدم. أما بيان أن النار أفضل من الطين فلأن النار مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن مجاورة السموات وأيضا فالنار مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة

(١) تفسير الرازي : (١٤/ ٢٠٩).

وأما الأرضية والبرد واليبس فهما مناسبان الموت والحياة أشرف من الموت وأيضا فنضج الثمار متعلق بالحرارة وأيضا فسن النمو من النبات لما كان وقت كمال الحرارة كان غاية كمال الحيوان حاصلا في هذين الوقتين وأما وقت الشيخوخة فهو وقت البرد واليبس المناسب للارضية لا جرم كان هذا الوقت أردأ أوقات عمر الإنسان.

المقدمة الثانية: اما بيان ان الأشراف لا يجوز أن يؤمر بخدمة الأدون فلأنه قد تقرر في العقول أن من أمر أبا حنيفة والشافعي وسائر أكابر الفقهاء بخدمة فقيه نازل الدرجة كان ذلك قبيحا في العقول فهذا هو تقرير لشبهة إبليس.

وأما المقدمة الثالثة: وهي أن من كانت مادته أفضل فصورته أفضل فهذا هو محل النزاع والبحث .

جواب الرازي لهذه الشبهة :

١-لأنه لما كانت الفضيلة عطية من الله ابتداء لم يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة ألا ترى أنه يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر والنور من الظلمة والظلمة من النور وذلك يدل على أن الفضيلة لا تحصل إلا بفضل الله تعالى لا بسبب فضيلة الأصل والجوهر.

٢-وأيضا التكليف إنما يتناول الحي بعد انتهائه إلى حد كمال العقل فالمعتبر بما انتهى إليه لا بما خلق منه .

٣-وأيضا فالفضل إنما يكون بالأعمال وما يتصل بها لا بسبب المادة ألا ترى أن الحبشي المؤمن مفضل على القرشي الكافر.

٢-مجادلة قوم نوح لنوح واثارتهم الاغاليط والشبه:

ثم أنهم لم يكتفوا بالمجادلة والإتهامات الباطلة بل راحوا يثيرون شبهاً ما أنزل الله بها

من سلطان[1] وهذه الشبه هي :

الشبهة الأولى : أنه بشر مثلهم يأكل ويشرب فكيف يكون ذلك؟ بل يجب أن يكون من الملائكة قال تعالى حكاية عنهم **(مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا)** [هود: ٢٧].

الشبهة الثانية : أن كل من أتبع نوح عليه السلام هم المستضعفون والأرذلون كالحياكة وأهل الصنائع الخسيسة وقد اتبعوا نوحاً دون روية وتفكير قال تعالى : **(وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ)** [هود: ٢٧].

الشبهة الثالثة : قوله تعالى: **(وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)** [هود: ٢٧] .لا في عقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الأحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات.[2]

الردود على تلك الشبه

مما لا يخفى على أهل العلم أن كل ما تقدم من تلك الشبه لم تدعم بحجة قاطعة ولم تؤيد ببرهان . بل هي باطلة بالبداهة . لأنها تقييد لمشيئة المرسل وقدرته سبحانه وتعالى «وهو فعال لما يريد» يختص برحمته من يشاء من عباده ويصطفيه لرسالته .

وبعد فأن القرآن قد رد على تلك الشبهة واحدة تلو الأخرى ودحضها حتى لم تبق لهم أي حجة بعد .

---

(١) ينظر: الكشاف : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ ه)،ـ ٢/ ١٠٨ .

(٢) ينظر: تفسير الرازي ١/ ٢٤٣٣ . تفسير النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ ٤/ ٢٩٨ .

الرد على الشبهة الأولى : وهو قولهم (**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا**) [هود: ٢٧]

وهو مثل ما حكى الله تعالى عن بعض العرب أنهم قالوا(**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**) [الأنعام: ٩]

وهذا جهل لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدليل والبرهان والتثبت والحجة لا بالصورة و الخلقة . بل نقول : إن الله تعالى لو بعث البشر ملكاً لكانت الشبهة أقوى في الطعن عليه في رسالته لأنه بالبال أن هذه المعجزات التي ظهرت لعل هذا الملك هو الذي أتى بها عند نفسه بسبب أن قوته أكمل وقدرته أقوى . فلهذه الحكمة ما بعث الله إلى البشر رسولاً إلا من البشر.[١]

ثم يقول الله جل وعلى لسان نوح : (**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) [الأعراف: ٦٣] أي لا تعجبوا من هذا فأن هذا ليس عجيباً أن يجيئكم رسول من الله تعالى منكم يعظكم ويرشدكم ويحذركم عذاب الله تعالى ويدعوكم إلى رحمته ورضوانه.[٢]

الرد على الشبهة الثانية : كون الأتباع هم الأرذلون وبادي الرأي .

قال تعالى حكاية عن نوح في الرد على هذه الشبهة : (وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [هود: ٢٩، ٣٠] ، كيف

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١/ ٢٤٣٣ .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ ٣/ ٤٣٢ . مع الأنبياء في القرآن الكريم : عفيف عبد الفتاح طبارة . دار العلم للملايين . بيروت. ط ١٧ ، ١٩٨٩ : ص ٦٣

يكون لي أن أطرد الذين آمنوا مجرد لإحتقاركم لهم ووصفكم إياهم بالأراذل جهلاً منكم بقدرهم ومنزلتهم عند الله تعالى الذي سيلاقونه . وأن الرفعة في الدين لا تكون بالحسب والمال والمناصب العالية . بل الفقر أهون على الدين من الغنى . والأنبياء ما بعثوا إلا لترك الدنيا والإقبال على الآخرة فكيف تجعل قلة المال في الدنيا طعناً في النبوة والرسالة.[1]

ثم أكد نوح عليه السلام عزمه على عدم طرد الذين آمنوا (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) [هود: ٣١].

وفي سورة الشعراء قال تعالى: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) [هود: ٢٩] أي إنما بعثت نذيراً فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء أكان شريفاً أم وضيعاً . غنياً أم فقيراً.[2]

الرد على الشبهة الثالثة : قال الله تعالى حكاية عن قوم نوح (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) [المؤمنون: ٢٤، ٢٥].

يقول الأستاذ عبد الكريم زيدان ((زعمهم أن نوحاً عليه السلام يريد التكبر عليهم بدعوى النبوة . زعم باطل وإنما يريد هدايتهم وتبليغ رسالة ربه إليهم وأراد الخير لهم فيجب الإنقياد إليه . والحقيقة أن سبب زعمهم هذا هو أنهم ينكرون نبوة نوح وبإنكارهم

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ١/ ٢٤٣٣ . المستفاد من قصص القرآن: تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان ، (مؤسسة الرسالة / ناشرون/ بيروت / لبنان -١٤١٩ه/ ١٩٩٨م ، ١/ ١٤٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٠ . تفسير القرطبي ١٣/ ١٢١ . تفسير الرازي ٢٤/ ١٥٥ . تفسير القاسمي ١٣/ ٣٠.

نبوته يحملون على إرادة السيادة والتكبر عليهم . وقولهم إنه به جنة قول باطل وكذب لأنهم كانوا يعملون بالضرورة كما عقله ولأن الله تعالى لا يرسل مجنوناً)).[1]

(١) المستفاد من قصص القرآن ١/ ١٤٤.

الخاتمة واهم النتائج

من خلال كتابة هذا البحث المتواضع توضح عندي النتائج الآتية:

١-أن هذا الجانب من الاعجاز القرآني مهمل كليا ، ولم ينل نصيبه من البحث والدراسة.

٢-أن الجانب العقلي للقرآن الكريم هو الشطر المقابل للجانب اللغوي ، ويعد القسم المكمل للتدبر في ايات الله سبحانه.

٣-انفتح لي من خلال هذا البحث الجانب العقلي المكمل للجانب الأصولي ، الذي هو موضوع تخصصي، وتوضح عندي السبب الذي جعل علماء الأصول يربطون علم المنطق بعلم الأصول .

٤-إن القرآن الكريم هو المقياس الذي يقوم القواعد المنطقية من أخطاءها.

٤-لقد جاءت البراهين القرآنية بأوضح دلالة ، تخاطب عوام الناس كما تخاطب خواص الناس من أهل العلوم ، نفس العبارة يفهمها الناس جميعا بكل طبقاتهم.

٥-أن القرآن الكريم كلما غصت في معانيه من الجانب المنطقي تتضح لك أمورا غائبة من غير أن تنتهي الى نهاية.

هذا وأسال الله تعالى أن يمن علينا بفهم القرآن ، لنزداد إيمانا مع إيماننا ، ويثبتنا على المنهج السليم .